مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية
ISSN : 1112-993X E-issn :2710-8147
المجلد: 12 العدد:(02) - 2024 / ص31-ص44.

المؤرخون الجزائريون ومشروع كتابة تاريخ الثورة الجزائرية: محمد حربي وعمار هلال نموذجين .

Algerian historians and the project of writing the history of the Algerian revolution; ʿ Muhamed Ḫarbī, Amār Halāl models.

د. يوسف دحماني [1]، المركز الجامعي أحمد صالحي، النعامة (الجزائر)، youssouf.dahmani@univ-tlemcen.dz
مخبر الدراسات الحضارية والفكرية

تاريخ الاستلام: 2024/06/29	تاريخ القبول: 2024/08/14	تاريخ النشر: 2024/09/12

الملخص:

ساهمت أعمال المؤرخين الجزائريين، من خلال جهودهم الاكاديمية، في تدارك النقص الحاصل في الكتابة التاريخية الخاصة بالثورة التحريرية، والتي بدأت كمجهودات فردية، وكحتمية ضرورية للحفاظ على عناصر الذاكرة الوطنية، والتي ظهرت في ظل أوضاع صعبة جدا، أثرت على عملية الإنتاج والتكوين الأكاديمي، المتعلق بتسجيل أحداث تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية.

تبرز هذه الورقة البحثية واقع الكتابة التاريخية المتعلقة بفترة الثورة التحريرية، والتي حفزت أغلب النخب الجزائرية للمشاركة في حفظ الذاكرة الوطنية، ومحاولة تأسيس مدرسة وطنية جزائرية، كونها أداة ضرورية لبناء حقيقي لمشروع حضاري أكاديمي وموضوعي، يسمح بمعالجة وتحليل أحداث الثورة الجزائرية، ومنعه من الاستلاب الخارجي، كما تحدد هذه الدراسة تصورات المؤرخين حول أنجع الطرق لتطوير المدرسة التاريخية الوطنية، والتي تقوم على المساهمة الأكاديمية ومؤسسات الدولة الجزائرية، لمواجهة ادعاءات المدرسة الفرنسية، والتي تعمدت التدليس الممنهج حول الفترة الاستعمارية، والجرائم المرتكبة في تاريخ الجزائر المعاصر.

كلمات مفتاحية: الثورة التحريرية؛ المؤرخين الجزائريين؛ المصادر التاريخية؛ المدرسة التاريخية.

Abstract:

issue of writing the history of the liberation revolution prompted most of the Algerian elites to contribute to preserving the national memory, which confirms the serious intention to establish the nucleus of an Algerian national school in the future, as a necessary tool. To build a balanced and objective civilized academic project. Who accepts discussion and analysis of the events of the liberation revolution and its protection from foreign influences. The features of the national school began to materialize with the completion of academic research, by exploiting all available material and moral resources, in opposition to the historical ideology of the French school, which deliberately justifies the crimes of French colonialism committed in the contemporary history of Algeria.

Keywords: The revolution liberation; Algerian historians; historical sources; History School.

[1] د يوسف دحماني، youssouf.dahmani@univ-tlemcen.dz

مقدمة:

اختلفت منطلقات الكتابة التاريخية المعاصرة في الجزائر، وذلك يعود لعدة أسباب فمنها الظروف التاريخية والمتمثلة في الواقع الاستعماري، والاثار المدمرة له على كل الأصعدة، وكذلك الاختيارات السياسية للدولة الجزائرية المستقلة حديثا، إلى جانب التأثيرات الخارجية التي كانت سائدة آنذاك، والتي خلقت تجاذبات مختلفة حول التيار الذي يجب أن يتبع،

كما برز تيار وطني يدعو إلى اعتماد وجهة نظر محلية، والذي يُمكن من تجسيد الرؤية الجزائرية في كتابة التاريخ الوطني، لكن في الواقع تعددت آراء المؤرخين الجزائريين، انعكست على الانتاج الثقافي الجزائري، في شكل أعمال فردية مختلفة في التوجهات والأهداف.

ومن خلال هذا السياق نصل طرح إشكالية الموضوع، والمرتبطة بدراسة تصورات المؤرخين الجزائريين، حول كيفية التأسيس لمشروع كتابة تاريخ الثورة التحريرية؟ وكذلك البحث عن المنهج الأكاديمي الواجب الاستناد إليه؟

تبين هذه الورقة البحثية جهود النخبة الوطنية، والتي كان من أهم روادها الأستاذ أحمد توفيق المدني، عبد الرحمن الجيلالي، جمال قنان، أبو القاسم سعد الله، يحي بوعزيز... وغيرهم، ممن بدأوا كتابة تاريخ الجزائر، لكن تلك الأعمال برزت في ظل ظروف صعبة ومعقدة، واجهتها الدولة الجزائرية المستقلة حديثا، مما أثر على مشروع التوسع في الكتابة التاريخية الأكاديمية والمتخصصة في تاريخ الثورة الجزائرية..

لمعالجة عناصر هذه الدراسة، اعتمدنا على المنهج التاريخي، مع استخدام نمط التحليل لتوجهات المؤرخين الجزائريين، حول اختيار أفضل الطرق لبناء المشروع الحضاري، والمرتبط بكتابة تاريخ الثورة الجزائرية.

1. تصورات بعض النخب والشخصيات الجزائرية حول كتابة تاريخ الثورة التحريرية

تباينت آراء العديد من المؤرخين، والنخب والشخصيات الوطنية، حول كيفية كتابة تاريخ أحداث الثورة التحريرية، والذي ينبغي كتابته بموضوعية علمية، مع الإصرار على تقديمه للأجيال القادمة [1]، أو أنها ضرورة لمواجهة المدرسة الفرنسية، والتي تدافع عن مصالح بلدها في مستعمراتها السابقة[2].

كما تذكر أغلب ملاحظات المؤرخين الجزائريين، أن مسألة متعلقة تغليب الدراسات التاريخية، للجانب العسكري على غيرها من الجوانب الأخرى، والذي له سبب ظاهر ومرتبط أساسا بالطبيعة الاستعمارية، ضد كفاح الشعب الجزائري[3]، مع الحرص على التكوين الأكاديمي للمؤرخ، وتجسيده على أرض الواقع[4].

يعتبر المؤرخ جمال قنان من الرواد الأوائل، ممن ساهموا وقدموا تصوراتهم حول بدايات الكتابة التاريخية الخاصة بتاريخ الثورة التحريرية[5]،من خلال أعماله التاريخية، والتي دافع من خلالها عن وجود نواة جزائرية ذات توجه عربي أصيل، ساهم في الحفاظ على أحد عناصر الهوية الوطنية، خلال الفترة الاستعمارية[6].

يرى المؤرخ جمال قنان، على أنها تجربة جزائرية خالصة، وإن كانت ظروفها مرتبطة بالفترة الاستعمارية، ظهرت مع بروز النشاط السياسي للنخبة الجزائرية، كهدف لإبراز هويتها الوطنية، في ظل واقع استعماري صعب، عمل على تشويه الرموز الوطنية للهوية الجزائرية [7].

إن سبب ظهور الكتابة التاريخية عند المؤرخ جمال قنان في مرحلتها الأولى، يُرجعها إلى الظروف بصفة عامة، فهي التي ولدت الكتابة التاريخية لدى الجزائريين، فهي تأتي في سياق صراع قائم على الإيديولوجية الفكرية الاستعمارية، والذي يبين اتجاه القوة لدى كل طرف أثناء الفترة الاستعمار الفرنسي، ويضيف المؤرخ، حول أهمية تلك الأعمال التاريخية، والتي تحمل في طياتها تأثيرات المدرسة الاستعمارية، ولابد من دراسات نقدية لها، بتوفير كل

الشروط الموضوعية المادية والبشرية لها، لتخطي تأثيرات الإيديولوجية، والتي تحمل تلك المؤشرات، قبل المنهج العلمي، خاصة في المواضيع الحضارية للتاريخ الجزائري[8]، والتي يعتبرها من نقائص المدرسة الفرنسية المعاصرة [9].

أما المرحلة الثانية، فجاءت مع موجة التعريب التي عرفتها الدولة الجزائرية المستقلة، ورفع الحضر عن الموضوعات التاريخيّة الحساسة، وفق الشروط الأكاديمية، خاصة ما يتعلق بتوظيف النصوص في سياقها التاريخي، من أجل معالجة النقص الموجود في المادة التاريخية، وإخراج الكتابة التاريخية من الدراسات العامة، إلى الكتابة الأكاديمية المتخصصة [10].

كما يتفق هذا الرأي مع كتابات أبو القاسم سعد الله، وناصر الدين سعيدوني، في موضوع اهتمام المؤسسات الرسمية، بالجوانب الاقتصادية والتنمية، على حساب الترقية الثقافية للشعب الجزائري.

كما نرصد رأي المؤرخ أبو القاسم سعد الله، حول التاريخ المكتوب الخاص بالثورة التحريرية، والذي يراه متأثرا باستيلاب الخارجي، نتيجة التعلق بأدبيات المدارس الشرقية القومية، أو الغربية منها، والذي شخص التاريخ الوطني الجزائري[11]، كما يرى أنه لا يوجد مانع في كتابة التاريخ الوطني بالتدرج، فهو ليس حصرا على جيل معين، وعليه بأنه برزت ثلاثة تيارات أساسية حول كتابة تاريخ الثورة، والتي نوجزها كما يلي:

-**الاتجاه الأول**: ويقول عنه بأنه مرتبط بالمشرق العربي، والذي مثله تيار القومية العربية، كحركة توجه السياسة العامة للدول العربية في مرحلة التحرر، وبداية استقلال الدول العربية، لكنه يعلق عليه، بأنه يغفل نسبيا عن العوامل المحلية، والمتمثلة في خصوصية النشاط السياسي والعسكري الجزائري، الخاص بالثورة الجزائرية، وبالتالي لا ينطبق على الأسباب الحقيقية لاندلاعها.

-الاتجاه الثاني: يعتقد أبو القاسم سعد الله، بأن أصحاب هذا الاتجاه، متأثر بالمدرسة الفرنسية، والذي يركز على إمكانية الاستفادة من تجربة المنهج العلمي للمدرسة الفرنسية، لكن المشكل المتعلق بهذا التوجه، مرتبط بالتحليل التبريري والمجرد من رأي الطرف الأصلي وهم الجزائريين.

-الاتجاه الثالث: برزت معالم هذا الاتجاه يحمل مبادئ الوطنية، والذي يدعوا إلى الاهتمام بالمصادر المادية واللامادية المحلية، بأكبر قدر ممكن في كتابة التاريخ الوطني والثوري للجزائر، وذلك لتغطية كافة المجالات بصفة متوازنة وموضوعية[12].

أما بخصوص مشروع كتابة تاريخ الثورة الجزائرية في فترة الاستقلال، فيرى لابد من أن تكون من نصيب النخب الأكاديمية، للتفريق بين الكتابات الذاتية والموضوعية، والتي تسمح بالمقارنة بينها [13].

يضيف أبو القاسم سعد الله، أن المؤسسات الجزائرية المتخصصة، حاولت من خلال إمكانياتها المتاحة، إيجاد حلول لمشروع كتابة تاريخ الثورة التحريرية، من أجل تجسيده على أرض الواقع، والذي بدأت بوادره الحقيقية، حيث كان التركيز في البداية على جمع المصادر الحية، والبحث عن الوثائق الرسمية، من أجل إعطاء تفاسير متعددة للحادثة التاريخية، والتي تسهل من عمل المؤرخين في آخر المطاف [14].

أما المنهج الذي يقترحه، لكتابة تاريخ الثورة التحريرية، فينبغي أن يكون المنهج العلمي، والذي يهتم بكل التفاسير بصفتها حركة إنسانية، وكجزء ضروري بحكم تنوع مجالات الثورة السياسية، والعسكرية، والفكرية، كمحاولة يمكن تنفيذها، لاكتشاف أبعاد أخرى لمقومات تاريخ الجزائر المعاصر[15].

ويقدم المؤرخ أبو القاسم سعد الله، مشروعا عاما، حول تدوين تاريخ الثورة، والتي يراها إنها بحاجة إلى تنظير وإرادة حرة بالأساس، هي الاستفادة من دور المؤرخ والمجاهد والمناضل، من خلال الاستعانة بهم، كما يمكن أن يُكتب تاريخ الثورة الجزائرية، تحت ثلاث مستويات وهي: الكتابة الرسمية، والشعبية، والعلمية[16].

فالكتابة الرسمية تكون تحت إشراف مؤسسات المتخصصة للدولة، والتي تحمل اتجاهها الايديولوجي، من أجل عدم ترك الفرصة للأجانب للاستغلال الفراغ، واشباع ثقافة الأجيال بالروح الثورية، ثم تأتي بعدها الكتابة الشعبية[17]، والتي يمكن أن يُساهم فيها عامة المثقفين والسياسيين الجزائريين، من خلال عرض أحداثها الرئيسية، والهدف منها أن تكون موجه لعامة الشعب، وأخيرا الكتابة العلمية، والمقصود بها البحوث الأكاديمية المستندة إلى المصادر التاريخية [18].

وتتوافق هذه الأفكار النظرية، مع كل من المؤرخ يحي بوعزيز، وناصر الدين سعيدوني، وعمار هلال، بخصوص دعوة الأكاديميين، إلى الاهتمام بالتاريخ الوطني بشكل عام، مع إدراك مسألة إعطاء الوقت اللازم لكتابة تاريخ الثورة التحريرية، لتقديم دراسات ذات قيمة علمية [19].

يعتقد أيضا المؤرخ محفوظ قداش، بأن الكتابة التاريخية الثورية الجزائرية، بدأت مع بدايات نشاط نخبة الحركة الوطنية، كجزء من الالتزام بواجب الروح الوطنية لحفظها من الاستيلاب الخارجي، من خلال مرحلة نشاط فئة النخبة الجزائرية، الذين قدموا خدمات هامة للثورة التحريرية، عبر صفحات الصحافة بصورة فعالة وناضجة حسب أهمية أحداثها، أما في فترة الاستقلال أصبحت مسؤولية كتابة التاريخ على عائق المؤرخين الجزائريين[20].

يرى الدكتور عبد الله الركيبي، أن الاهتمام بتاريخ الثورة، ينبغي أن يبنى على إعادة النظر في تراث الثورة سياسيا وفكريا بأيدي جزائرية فقط، دون الرجوع إلى المصادر الأجنبية، والحل هو ببداية بتسجيل أحداثها بواسطة الشهادات والوثائق الرسمية في كل المجالات، حتى تحافظ على خصوصيتها من أجل المساهمة في بلورة مبادئها، وهي مسؤولية يَتطلع بها المثقفون ومسؤولي جيش وجبهة التحرير الوطني، في إطار موضوعي واضح المعالم، وكذلك الدعوة إلى عدم حصر تراث الثوري في المناسبات والأعياد الوطنية[21].

كما يتفق مع هذا التوجه المؤرخ موسى لقبال، والمتعلقة بوجهة نظره حول كتابة تاريخ الثورة التحريرية، والتي تكونت عبر تراكم التزييف والتشويه المتعمّد لتاريخنا الوطني، وعليه فإن المطلوب هو أن يتم تسجيل أحداث الثورة، انطلاقا من المصادر الأصلية المادية واللامادية، للوصول إلى نتيجة واقعية واضحة، من أجل تأطيرها وفق الهوية الجزائرية، والتي تقع مسؤوليتها على المثقفين والمناضلين معا، عن طريق العمل المشترك بينها وبين المؤسسات الرسمية، لتجنب التأثيرات الذاتية والخارجية، من أجل توعية الشعب الجزائري[22].

وفي نفس المسار يرى المجاهد محمد العربي الزبيري، أن الأسلوب الفرنسي في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، يقوم على الاغراء والمراهنة على فضول الجزائريين حول تاريخهم الوطني، وأن أفضل مثال عن ذلك كتابات الصحفي إيف كوريير (Yves Courrière) في مجلة هيستوريا (Historia)، والتي تخدم اللوبي السياسي الفرنسي المعادي للجزائر، عبر التبرير للنشاط العسكري الفرنسي بالجزائر، وحصر المسؤولية على أشخاص بدل المؤسسات الرسمية الفرنسية، وأن الأمر الذي زادها سوء، هو تبني هذا التوجه من قبل بعض المثقفين والمؤرخين الجزائريين، مع تعمد إغفال عدة أحداث تاريخية مهمة، وهذا يرجع إلى تأثير المدرسة الفرنسية، عن طريق دعم مؤلفات ومنشورات تاريخية توافق طرحها، إلى جانب أسباب أخرى مرتبطة بأخطاء سياسية بعد نيل الاستقلال [23]، كما يضيف إلى أنه ينبغي الاعتراف بأننا نتحمل جزء من هذه المشكلة، وذلك بسبب غياب المصادر الجزائرية الشفوية والمادية، وعليه فإن ضرورة تسجيل تاريخ الثورة، بواسطة الهيئات الرسمية الجزائرية، وهو الإجراء الصحيح تمهيدا لكتابة تاريخية موضوعية، وتسمح أيضا بصياغة تاريخ الثورة التحريرية، كنظرية فكرية وتطبيقية تستفيد منها شعوب دول عالم الجنوب[24].

كما تتضح اهتمامات الرئيس فرحات عباس من خلال كتاباته، والتي نذكر منها على سبيل المثال: ليل الاستعمار، تشريح الحرب، الاستقلال المُصادر، (l'indépendance confisquée, la nuit coloniale, mautopsie d'une

guerre)، والتي يقدم فيها بشكل عام مواقفه حول شخصيات ثورية سياسية جزائرية، وحول قضايا عامة كالاستعمار والحرية، وأيضا تحليل مواقف القادة العسكريين والسياسيين الفرنسيين، وذلك بناء على سياستهم المتبعة في الجزائر، كما دعا فيها إلى تدعيم العمل الفكري والثقافي في الجزائر المستقلة، خاصة في كتابه "غدا سيطلع النهار"، والذي يقدم نظرة شاملة، حول كيفية استغلال الأمثل للحرية من خلال الكتابة النقدية خاصة التاريخية منها والسياسية [25].

حاول المناضل مصطفى الأشرف في كتابه "الأمة والمجتمع"، وضع التوجه الاجتماعي لكتابة تاريخ الجزائر من خلال دراسة وتحليل القضايا الاجتماعية والثقافية، والتي كانت في رأيه محور الصراع بين الجزائريين ومؤسسات الاستعمار الفرنسي، وهو ما جعل منه صراعا حتميا، فالوطنية منبعها الأرض التي يدافع عنها الجزائري كانت هي المحرك لمقاومته، وأنها الطريقة الصحيحة لفهم مسار التجربة الكفاحية للشعب لنيل الاستقلال، دون أي تدخل أيديولوجي أجنبي، وأن الشعب الجزائري من تحمل التبعات من جراء نضاله التحرري، ولم تكن له يوما قابلية للظل أو السياسة الاستعمارية، فلا يمكن للمدرسة الفرنسية، أو القوات العسكرية الفرسية، تغيير واقع الثوري للشعب الجزائري، فالواقع أقوى مما يمكن فرضه فكريا أو بالقوة القاهرة، حيث يقول: 'التاريخ الثّوري بصفة خاصة لا يقوم على نكران الذات، وإنما يقوم على البحث والإبداع المتجدد، وهي مقاربة تقوم على كشف الحقائق دون التّحيّز لطرف جزائريّ دون آخر" [26]، ولكن الواجب على المؤسسات الرسمية للدولة الاهتمام بتاريخ الجزائري النضالي، من أجل بناء توازن حقيقي للاستقلال في جوانبه المادية والحضارية، من خلال تشجيع المؤرخين وكافة النخب الثقافية، للاستمرار في الكتابة والعمل الثقافي، لمواجهة أطروحات الاستعمارية لدى جيل الاستقلال [27].

وفي سياق عرض بعض الكتابات التاريخية لمسؤولين جزائريين عايشوا واقع الثورة الجزائرية، نذكر الرئيس بن خدة بن يوسف، بداية من كتابه الشهير "اتفاقيات ايفيان"، وكتاب الجزائر "الجزائر عاصمة المقاومة 1956-1957 [28]، وكتاب " جدور أول نوفمبر 1954"، إلى جانب كتاب (leur apport à révolution algérienne Abane-Ben M'hidi) [29]، والتي قدم فيها روايته حول أبرز القضايا والاحداث التاريخية التي شهدها قبل وأثناء الثورة التحريرية، والتي نشر فيها العديد من الوثائق ذات الطبيعة السياسية في الغالب، والرد على بعض الشخصيات الثورية الجزائرية في اطار تصحيح بعض المعلومات الخاطئة في نظره، مما يجعل تلك الاعمال مصادر يستعين بها المؤرخين الجزائريين في دراستهم الأكاديمية حول مسار النضال السياسي والعسكري للجزائر المعاصرة [30].

كما يعتقد المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، أنه قد حان وقت لتبني مشروع كتابة الثورة كإنجاز حضاري يُحدد أبعادها الاستراتيجية، بعد عدة محاولات سابقة لكتابته، والتي لم ولن تَفِ بالغرض المطلوب، والتي مازال الكثير من قضياه لم تفتح بشكل كامل، وأن المطلوب هو إعادة النظر في أهدافها، وهو تحد من أجل مواجهة المشاريع الاستعمارية، مثل محاولة محو الهوية والتاريخ الجزائري [31].

كما يرى المؤرخ يحي بوعزيز، أن الدولة الجزائرية المستقلة غلبت الدراسات التقنية، على حساب الدراسات الاجتماعية والإنسانية، وهو الواقع الذي كرس واقع الاستلاب لدى الشعب الجزائري، وجعله أكثر عرضة للتأثر بالمفاهيم الغربية أو الشرقية، وأن إهمال هذا الجانب لا يؤدي حتما إلى نتائج إيجابية، فبناء الفرد حضاريا هو بناء دولة بالأساس، وإن الإشكال الآخر متمثل في إطلاق الشعارات دون بلورتها وتجسيدها في الواقع المعيش، وهذا ما يعرقل بناء المشروع الحضاري للأُمة الجزائرية، والحقيقة لا تتم السيادة الكاملة إلا بصياغة تاريخ وطني لربط علاقاتها مع الشعب، وبالتالي فإن كتابة تاريخ الثورة التحريرية، يعتبر مشروع حضاري يحفظ الهوية الوطنية، ويضمن الاستمرارية لها، انطلاقا من ترسيخ الارتباط بالأرض والعرق أولا، وبالمعتقد الإسلامي واللغة العربية ثانيا، فالثورة ليست حدث عابر انتهى مع نيل الاستقلال [32].

والخلاصة في نظرة حول هدا الموضوع، أن تاريخ الثورة التحريرية، حسب الآراء السابقة، يجب أن يُكتب بعيدا عن المخلفات الاستعمارية، بل يُكتب وفق منهج تاريخي موضوعي وبروح نقدية، يسمح بمناقشة نتائجها كمحاولة جادة للنهوض بتاريخ الجزائر المعاصر، ومن أجل نشر ثقافة للأجيال الصاعدة، لها مناعة واستقلالية كاملة الأوصاف، كون أن المشروع الحضاري المتمثل في كتابة الثورة يخدم الإنسان والدولة الجزائرية معا [33].

وعليه فإن قيمة الثورة الجزائرية، من خلال أعمال المؤرخ يحي بوعزيز، والتي نرصدها من خلال مؤلفاته التاريخية، حول تاريخ الجزائر بصفة عامة وتاريخ الثورة بشكل خاص، ناقش فيها كافة الإرهاصات والخلافات حول ماهيتها، وصدى القضية الجزائرية في العالم، والتي تناولت ظروفها وأسباب اندلاعها واستمراريتها [34].

وأما واقع الكتابة التاريخية في رأيه، هو حجم الكتابات الفرنسية عن الثورة الجزائرية، والذي درسوا أحداثها، والتي جاءت معظمها في سياق تبرير السياسة الفرنسية، مما جعلها ذات طابع متحيز في الغالب، رغم ما تحوزه من الأرقام الإحصائية والمعلومات التاريخية الهامة [35].

إن الحقيقة المُرة في نظر المؤرخ يحي بوعزيز، تتمثل في مشكلتين أساسيتين الأولى منها، تتمثل في النقص الكبير في الشهادات الحية لمن شارك في الثورة التحريرية، كون أغلب القادة استشهدوا خلالها، ومن بقي منهم لم يكتبوا مذكراتهم، وهي خسارة كبيرة للرصيد التوثيقي للثورة يصعب تعويضها، باستثناء البعض مثل عبد الرحمن كيوان، سعد دحلب، الشاذلي بن جديد، محمد بوضياف، حسين آيت أحمد، مصطفى الأشرف... والذين حاولوا الرد على ادعاءات الفرنسيين وأخطائهم التحليلية المقصودة وغير المقصودة، وهذا من شأنه التحفيز والمساعدة على ظهور الحقيقة التاريخية، ويقول من جهة ثانية تظهر كثافة إصدارات القادة السياسيين والعسكريين الفرنسيين عن الثورة، معتقدين أنها امتداد لتاريخ الفرنسي، وهو الأمر الذي لا يخدم التاريخ الوطني، فالضرر الحقيقي متمثل في بث وجهات نظرهم المليئة بالمغالطات، والتبرير لسياساتهم القمعية، وإظهارها كواجب وطني، إضافة إلى محاولة تحجيم قوة الثورة التحريرية وتسطيح أهدافها، في مطالب مادية محضة، الغرض منها تشويه تاريخ هذه الفترة، فهي تَبرز كحركة مناوئة للروح الثورية في أدبيات الجزائريين، وللخروج من هذه المعضلة ولو جزئيا، ينبغي الدعوة الملحة لكتابة أكاديمية، وهي مَهمة تقع على عاتق المؤرخين الجزائريين، بالاعتماد على المصادر التاريخية، بإشراف وتأطير المؤسسات المختصة، من أجل تقديم نص تاريخي موضوعي مقبول لدى الجزائري [36].

وكخلاصة لما سبق ذكره حول مسألة كتابة الثورة الجزائرية، فإن أغلب المؤرخين الجزائريين، كانت تصوراتهم العامة حول هذا المشروع، يرون أنها بحاجة إلى تنظير مستقل وإرادة وطنية حرة، مع الاستفادة من خبرات المثقف الذي يمثل دور المؤرخ، وبين الشخصيات التاريخية، وكذلك جمع واستغلال كل المصادر التاريخية، التي تدعم إنشاء مدرسة تاريخية جزائرية مستقبلا.

إن مشروع كتابة تاريخ الثورة التحريرية، في اعتقاد المؤرخين الجزائريين، يضمن استمرارية روح الثورة الجزائرية، وأن المشكل القائم، هو الاهتمام بالجوانب المادية دون الحضارية، مما جعله معرضا للاستلاب الشرقي والغربي.

2.إشكالية كتابة تاريخ الثورة التحريرية لدى المؤرخين محمد حربي وعمار هلال:

يعتبر العديد من الدارسين للكتابات ال تاريخية للثورة الجزائرية، أن المؤرخ محمد حربي[37]، أنه في الاتجاه الآخر في طريقة كتابة تاريخ الجزائر والثورة بصفة خاصة، والتي جسدها من خلال كتاباته المتعددة، حول مميزات العمل السياسي والعسكري للثورة الجزائرية، وفق ما يراه أنه ذو قيمة تاريخية أساسية في تاريخ الجزائر المعاصر[38]، وهو ما جسده في كتابه جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع (le FLN mirage et réalité)، وأيضا كتاب "الحرب تبدأ من الجزائر" (la guerre commence en Algérie)،على سبيل المثال.

-محمد حربي:

حاول المؤرخ محمد حربي، مناقشة العديد من القضايا الشائكة والمسكوت عنها في رأيه، كقضية اعتدار فرنسا للجزائر، وهذا من أجل تجاوز المشكل الاخلاقي لجرائمها بالجزائر[39]، كما قدم محمد حربي تصريحات يراها ضرورة ملحة لفهم وقائع الثورة حيث يصرح بـ: "**لكي لا أبقى كملاحظ ولكن أيضا صانع لتاريخ بلده**"[40].

أما في كتابه "جدور جبهة التحرير الوطني" (Aux origines du FLN)، وأيضا كتاب "الثورة الجزائرية سنوات المخاض"، فقد استعرض فيهما تحليلات لجذور جبهة التحرير الوطني السياسية، وظروف الجزائريين آنذاك، كما له كتابات أخرى تعتمد في نصها على عرض وشرح الوثائق الأرشيفية الجزائرية والفرنسية بصورة مكثفة[41]، نذكر منها كتابه "أرشيفات الثورة الجزائرية (les archives de la révolution algérienne)[42]، والذي استعرض فيه أكثر من مائة وثيقة، أغلبها غير منشورة، مرتبطة بنشاط جيش وجبهة التحرير الوطني، وجهودها في العمل الميداني والدبلوماسي ضد الإدارة والجيش الفرنسي، والتي يظهر في أغلبها العديد من الجوانب غير المعروفة، من تقارير ومحاضر اجتماعات قيادة الوفد الخارجي، وأهم مراسلاته لقيادة الثورة داخل وخارج الجزائر[43].

يعتقد المؤرخ محمد حربي، أن كتابة تاريخ الثورة الجزائرية مازال مقيدا، أو كما يسميهم "**حراس المعبد**"، وهو ما يجعله يرفض أي تدخل رسمي في صياغة النص التاريخي تحت أي مبرر، لأنه لا يسمح إلا بكتابة "**الروايات والأساطير**"، والتي حسبه جلبت الكثير من الأحقاد والمغالطات التاريخية أنتج ما سماه أيضا "**استعمارا مخياليا**"، الذي يسيطر على تفكير والتأليف التاريخ في الجزائر، مما ولد استلابا داخليا أثر على البحث والموضوعية، وهو تضييع لجهود الرواد الأوائل، الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر أمثال أحمد توفيق المدني، مبارك ميلي... ثم الجيل الثاني محفوظ قداش، دون عقدة وبديمقراطية حقيقية، عكس القائلين أن تاريخ الثورة يكتبه أبنائها فقط، بل فتحوا المجال للنقاش حول الأحداث التاريخية وناقشوها بكل موضوعية[44].

يدعم هذا الرأي المناضل رضا مالك، والذي يعبر عن رغبته في قول الحقائق التي كان شاهدا عليها، دون مجاملات أو تدليس، كونها لا تخدم تاريخ الثورة التحريرية حيث يصرح: "...**إن الواجب اتجاه الذاكرة لفكرة جديدة تسير بالاتجاه المعاكس للغة "المقولبة" والمحرمات الراسخة، ليحل محلها تفكير نقدي وقراءة واعية ومقاربة جادة للتاريخ أكثر واقعية وأقل أسطورية...**"[45].

فهي حسب رأيه بمثابة دعوة من أجل إعادة كتابة التاريخ الحقيقي للجزائر، حيث يقول: "**...بأنه أمر لا مناص منه، وأن الوقت هو الحل، بعدما تزول عدة موانع تعيق تحريره ... يستحيل صناعة التاريخ بعد حدوثه، وأن الحقائق يجب أن تجد طريقها إلى النور...إن التاريخ يستلزمه الوقت، كون الحقائق كثيرة لم تكتب بعد والوقت كفيل بكشفها...للإسهام في معرفة أسرار أحداث هامة من تاريخ الثورة...**"[46].

كما يصرح أيضا بأنه الدافع الحقيقي لتأليف كتاب "الجزائر في إفيان"، والذي يقدم فيه على أنه عمل وجهد قاس جداً، وليس هدية للاستعمار الفرنسي، ويوضح رأيه أكثر بأنه ثم تقزيم أهمية مفاوضات إيفيان، بتحليلات سطحية بمؤشرات وليدة الساعة، وغير متخصصة في النظر إلى تعقيدات هذه المهمة الحساسة، وعليه قدم عدة تفاصيل حول مشاكل التواصل، والمناورات لإفشالها، وأنه لا ينبغي حصرها في بروتوكولات رسمية، بين ممثلي جبهة التحرير الوطني، وممثلي الوفد الفرنسي، وإنما هي في الواقع فرضت على الجبهة الفرنسية، الّتي لم تجد بدا من الجلوس إلى طاولة المفاوضات، والخضوع للإرادة الجزائرية [47].

ويضيف محمد حربي، على أن رأيه يرتكز على معالجة لظروف ومجريات المفاوضات، بصفته شاهدا، إلى جانب الاعتماد على شهادات كل من بن خدة بن يوسف، وعبد الحميد مهري، والطيب بولحروف، وسعد دحلب،

الصديق بن يحي، وبن طوبال...إضافة إلى وثائق المجلس الوطني للثّورة بالعاصمة، وتقارير جبهة التحرير الوطني بالخارج [48].

كما عالج كذلك مسألة التقليد لتيارات أجنبية، وأن المطلوب حسبه تفعيل النقد الذاتي للفكر والمناهج، للوصول إلى الحقيقة وتحقيق موضوعية حول أي شخصية أو حدث تاريخي [49].

ب-عمار هلال

ترتكز الكتابة التاريخية للثورة الجزائرية عند المؤرخ عمار هلال [50]، بالاعتماد على ثلاث محاور الأول منهم متعلق بمنهاج ووظيفة التاريخ لدى الشعوب، والثاني يخص مسألة التاريخ والتكوين العام فيه، وأما المحور الثالث فمتصل بمصادر تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية.

-منهاج ووظيفة التاريخ:

يعتقد المؤرخ عمار هلال، أن حجر الأساس في بناء النص التاريخي، يبدأ من حرية فحص وتدقيق في الأحداث التاريخية، من خلال ابداء الآراء حول أي مرحلة تاريخية، لأي شعب يريد كتابة تاريخه الوطني، وهذه النقطة بالذات تعبر عن وظيفة الأساسية للتاريخ والباحثين فيه، وهذ الحقيقة ماهي إلا الواقع معاش آنذاك، وأن ما هو مكتوب حاليا هو نتاج ممن سبقوا في التأليف الحضاري [51].

كما يرى المؤرخ عمار هلال، أن الفرق بين المؤرخ الاكاديمي، وبين الهواة جامعي الوثائق والمستندات التاريخية، وما يتعلق بالمصادر المادية الأخرى لعلم التاريخ، أن المؤرخ له منهج يمكنه من الوعي والفهم لكل المعارف المتعلقة بطبيعة المادة، والتي امتزجت فيها كل تلك القدرات والمؤهلات بشخصيته الأكاديمية، أما بخصوص عملية استنباط الحقائق التاريخية، فهي عملية تشبه في بعض الأحيان استجواب الشهود في قضية ما في قاعة المحكمة، وذلك من أجل معرفة الحقيقة، لكن مع التنبيه أن هناك اختلاف أساسي، يتمثل في أنه يمكن لرئيس المحكمة استدعاء الشهود ومسائلتهم، ولكن الواقع الذي يواجه المؤرخ، هو مناقشة لشخصيات التاريخية لم تعد قابلة للاستدعاء فهم موتى أصلا، فالمقارنة بينهم في رأيه غير متكافئة، وهذه في الحالات العادية، أما في بعض الحالات التي تكون فيها الشهادة مزورة من أساسها، وهو ما يعاب على أعمال المؤرخين الفرنسيين بشكل عام، ومذكرات النخب السياسية والعسكرية بصفة خاصة، حيث يصرح بهذا الخصوص بـ "**فطالما اعتمد هؤلاء التضليل كوسيلة لبلوغ مقصدهم، وتورطوا في الأخطاء عمدا، وتعلقوا بالأوهام وبنوا على الرمال آرائهم**"، وبالتالي فإن الاعتماد عليها ينتج عنه لا محالة التزوير في الحقائق التاريخية، وتسجيل كل تلك التلفيقات، وكذلك المبالغة في تحجيم مستوى الوقائع التي وقعت أثناء الثورة التحريرية.

كما يضيف نفس المؤرخ عمار هلال، أن الخطر في ليست تلك الأعمال فحسب في هذا النوع من الكتابات في حد ذاتها، وإنما المشكل يتمثل في أن يأتي بعد هؤلاء جيل جديد من المؤرخين، ممن سيعتمدون عليهم وينقلون عنهم، ويرون فيها أنها مراجع أو مصادر موثوقة، وفي هذه الحالة يكتسب الخطأ والصواب، نوعا من القداسة يجعل التشكيك فيها أو رفضها جزئيا أو كليا أمرا بعيد المنال.

ويتساءل أيضا في هذا الصدد، ويقول هل يعقل أن تعتمد مجموعة المؤرخين الجدد، على تلك الاعمال في التكوين والتأليف فيما بعد؟ وهنا تبرز حسبه ضرورة اشعار تلك الفئة النخبوية بخطورة هذه القضية، وأن عليها إدراكها، من أجل مواصلة البناء الحضاري بشكل منطقي وموضوعي.

-التاريخ والتكوين:

يطرح المؤرخ عمار هلال، فكرة نجاح التجربة الألمانية في التوعية والتطور في ميدان الكتابة التاريخية، من خلال الاستفادة من تلك الحركة الفكرية، والتي لم تفرق حسب الفيلسوف الألماني "فخته" بين العلوم الانسانية

وتطبيقها على أرض الواقع، بحيث اعتبرهما متكاملين وظيفيا في المجتمع، ومما جعل الأمر ناجحا هو وجود كفاءة فكرية ومنطقية، ولا بأس من اتخاذ عمل الفيلسوف "فخته" مرشدا من خلال ما كتابه "غاية الانسان"، إذ استغل هذا المفكر الرصيد التاريخي لألمانيا، وتوظيفه كوسيلة لتكوين مجتمعه، وفق روح ومقتضيات المجتمع العصرية، لمواجهة تلك الظروف التي ميزها الانقسام الحاد في المجالات السياسية، والدينية، والفكرية، والديني، باعتبار أن مادة التاريخ وسيلة سليمة لتوحيد الجهود من أجل الوطن، والذي يمثل دوره بـ "**المربي الأولي والمكون للأمة**"، خاصة وأن ذات المفكر قد عاش تلك التجارب القاسية، ولاحظ تأثيرها السلبي على مصير المجتمع الألماني، خاصة فترة الغزو الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت، فضرورة التغيير عنده -فخته- تبدأ بتغيير الفرد قبل تغيير شيء آخر، وذلك لاعتقاده أن العمل على تحقيق تربية قومية، من أجل إحياء الدولة الألمانية الموحدة، واعتبر أن المشكل يتمثل في ترسيخ مبادئ لدى الأفراد، والتي تكتسب من خلال التكوين الحضاري لكل فرد، بحيث تصبح طاقته الروحية مُسخَّرة لبناء نفسه أولا ثم لبناء الوطن ثانية، ومن ثمة تتجلى بوضوح أهمية التكوين الشخصي كضرورة لبناء الوطن، إن هذه الفلسفة في نظر عمار هلال، كونت جيلا قويا وحرا يؤمن بالمبادئ العليا لشعبه، وزودتهم بإرادة صلبة وشعورا بالكرامة الواعية، التي لا تترك للحوادث العابرة فرصة لهدمه، والتي مسحت تلك الأفكار المستوردة الضحلة، وسمحت بتحسن المستوى الفكري والثقافي[52].

ويضيف في هذا السياق، أن التجربة الألمانية، والتي مثلها أيضا في القرن التاسع عشر المؤرخان الألمانيان vonranké، وtritchké، أصحاب النزعة الموضوعية، والتي تدعو إلى اتخاذ التاريخ كوسيلة للوصول إلى تدريس الأجيال الصاعدة، تعليما صادقا وواعيا، حيث يقول "رانكه" عن علم التاريخ: "**أنه مرآة تترآى فيها الأحداث كما وقعت**"، ويضيف أيضا : "**ليست فكرتي الأساسية هي قبول هذا المذهب، أو المذهب الآخر، أو المذهب الوسيط بينهما، وإنما هي معرفة الحقائق واظهارها، والتعليم الصادق لا يكون إلا بمعرفة الحوادث معرفة صحيحة**" [53].

يضيف عمار هلال، بخصوص التجربة الألمانية الذاتية، والذي يقول عنها: " **أن القلب القوي الذي يشعر بأن مسرات وطنه وأحزانه هي مسراته وأحزانه، هو وحده الذي يستطيع أن يكون صادقا في سرد التاريخ**"، حيث كان اعتقاده أنه لا يكتب التاريخ والأحداث، وإنما ليقدم من خلال التاريخ الدروس لتقوية شعور الوطني لدى أفراد شعبه، واذا كان هذا النوع من الكتابات التاريخية، من حيث المنهج العلمي التاريخي الحديث ومن حيث الموضوعية التاريخية قابلا للنقاش، فإن عمار هلال يرى أننا نحن الجزائريون بحاجة إليه في الوقت الراهن، بالنسبة لتكوين الجيل الجديد، وتكوين عامة الشعب، وبدلك يدعوا المؤرخ عمار هلال، الكتاب الجزائريين المعاصرين الذين اهتموا بهذا النوع من الكتابات التاريخية، إلى العمل على تربية النشء وتكوينه تكوينا سياسيا وثقافيا، يجعله دوما متمسكا بأصوله، غيورا على الحضارة والثقافة التي ينتمى إليها، وهو ما يوافق ما قاله أحمد توفيق المدني، ومبارك الميلي، "**متى درس -التاريخ-أبناء الأمة وأحاط خبرا بأدواره شبابها عرفوا وجودهم، فلم تبتلع قوميتهم القوميات الحية النهمة المجاورة لهم، وأدركوا ما لماضيهم من المجد وما لأسلافهم من الشرف، فلم يقبلوا تنقيص المنقصين، وشعروا بعز السيادة ولذة الحياة، فانفكوا من سيطرة المستبدلين ولم يخضعوا لذل المستعبدين**"، ولكن يتساءل المؤرخ هلال، كيف يتحقق ذلك ؟ وهل البيداغوجية التي يدرس بها التاريخ حاليا؟ كفيلة بسد النقص المتزايد في تكوين الإطارات التعليمية ذات كفاءة ؟ وهل بإمكانها استرجاع المادة مكانتها العلمية والثقافية المكلفة بها ؟ وهل البرامج العلمية في التاريخ في كل المراحل كاملة وشاملة مطابقة لمخططات التنمية للبلاد؟ والجواب فب نظر المؤرخ عمار هلال، هو التأكيد على أن للتاريخ دورا لا يستهان به في تعليم النشء الصاعد، وحب البناء والمبادرة، إذا ما وظف لذلك، ووفرنا له الشروط الضرورية للقيام بالمهمة، وإدراك النقائص التعليمية السائدة في جميع مراحل تعليم هذه المادة، وايجاد الحلول لها، تجعل تعليم التاريخ، مسايرا للتطور التنموي الوطني[54].

ويرصد المؤرخ، بعض آراء المفكرين والدارسين للحضارة الإنسانية، المستمدة من التاريخ، كشرط ضروريا وأساسي لتكوين الأفراد في كل المجالات، بل هناك من علماء الاجتماع، من ذهب إلى حد اعتبار أي مثقف لا إلمام له بالتاريخ، أو مختص في مادة علمية أخرى غير التاريخ معلوماته التاريخية ضعيفة، فهو يعتبر مثقف من الدرجة الثانية، وعن ذلك يقول أحدهم:" **فتقديري أن يستقل مركبا لسفر الحياة دون أن يدرس بل دون أن تكون بينه وبين يديه مخططات كاملة لتاريخ حضارته هو من حداثة العهد، بحيث يكون كالمسافر لبذي يرحل لسفر طويل جدا دون أن يتزود بخرائط لهذا الغرض**"، أما عن أهمية التاريخ في المجال التكوين السياسي، وضرورة المام القيادة السياسية بالتاريخ الوطني والدولي، بحيث يصرح نفس الكاتب: "**اذا كان هذا هو رأيي في المسافر فما عساه أن يكون في القائد الدليل وفي كل مرة يتاح لي فيها الحكم على معارف حكامنا التاريخية، بواسطة خطبهم أو باتصالاتي الشخصية بهم، أشعر مع الأسف الشديد، عدا حالات استثنائية، في مفاجئات مؤلمة بأن هذه المعارف ليست أكثر من المعارف الابتدائية المتداولة بين تلاميذ هذه الصفوف**" [55].

-مصادر تاريخ الثورة:

يعتقد المؤرخ عمار هلال، أن كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، يعتبر بالنسبة لكل الجزائريين، شعبا وقيادات من الأهداف الرئيسية منذ نيل للاستقلال، أما فكرة كتابة التاريخ لدى القيادات الثورية، هو من أجل إحراج الآخرين الذين أخطأوا في نظرهم، ويحسمون به المواقف، عندما يكون هناك اختلاف في الرأي، بأنهم لا يستطيعون تغيير ماضيهم، ففكرة التاريخ تبرز عندهم كضرورة لتبرير سلطتهم "الأبوية"، من خلال خطبهم في المناسبات الوطنية [56].

في نفس السياق يضيف المؤرخ، أن من المسؤولين الجزائريين كتب بعضهم كتبا تحدث فيها عن ذكرياته... وكتب غيرهم مقالات، وسجل بعضهم شهادته، والتي مهدت المجال لتأسيس المراكز والجمعيات التاريخية، والتي أخذت على عاتقها مهمة كتابة التاريخ الثورة، لكن الجميع في رأي المؤرخ بعيد عن المنهج الأكاديمي، فالرغبة لا تجسد مشروع كتابة التاريخ الوطني بواسطة إمكانيات ووسائل الدولة، واظهارها كرغبة ملحة وحق وواجب له في نفس الوقت، فكتابة تاريخ الثورة التحريرية بالنسبة إليه، ضرورة ذاتية للحفاظ على مصالحه الشخصية [57].

يرى المؤرخ عمار هلا، بأن عملية كتابة التاريخية من طرف المؤرخين، ترتكز على معالجة الواقع والاحداث بموضوعية، حيث أن الافراد والاسماء تغدو قليلة الأهمية هذا من جهة، أمام السياق العام للأحداث التاريخية، وعليه فإن المرحلة القادمة ينبغي أن يتم تخليد النضال الجزائري، ولأجل ذلك لابد من أن يكون هناك قدر من نكران الذات والتجرد من المصلحة الشخصية، من أجل تسجيل تلك التجربة وتوصيلها للأجيال الصاعدة، فالثورة مرحلتان مرحلة الفعل، ومرحلة مراجعة الذات في الفعل الثوري، تُنقل فيها كل تلك التجارب بصدق وأمانة.

كما يصرح المؤرخ عمار هلال، بخصوص مهام كل جيل في الجزائر:" **لقد قام جيل نوفمبر بتأدية دور في مرحلة الفعل الثوري، وسيظل هذا العمل ناقصا ما لم يقم بالدور الثاني الذي يتجسد في مرحلة مراجعة الذات أثناء الفعل الثوري وليس معنى ذلك أننا نطالب بثورة ضد الذات كلا، فالمطلوب جمع شتات الذات، وصياغة الذكريات لا غير...**"، وعليه فإنه يرى أن كتابة تاريخ الثورة التحريرية، يكون بالتخلي عن التفكير السطحي والبسيط، بل يكون بإدراك أن تاريخ الثورة ليس تاريخ بطولات لأفراد أو جماعات معينة، يقابلها على الجانب الآخر الطرف الضعيف والمهزوم، كما لا ينبغي أن يتاح المجال في كتابة تاريخ الثورة لعامة الفئات الشعبية، والذي يريد أن تُكتب له ملحمة للثورة التحريرية، يلمس من خلالها أمجاد وبطولات الثورة التحريرية، لأنه في رأيهم هم من صنعوا أحداث هذا التاريخ، لكنهم لا يدركون بأن عهد التاريخ الملحمي انتهى منذ فترة "الإلياذة"، أما عن الطرف الثالث في هذه القضية، الذي لا نحسب له أي حساب، ونحن نفكر في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، هو الطرف الذي كان عدوا في الأمس و"صديقا" اليوم، والمتمثل في فرنسا ذاتها، لكن يجب التساؤل أيضا، هل يهم فرنسا أن يكتب تاريخ الثورة؟ سؤال

لابد أن يطرح بالتأكيد، والحقيقة أنه لا يهمها أن يكتب بأي طريقة كانت ذاتية أو موضوعية، بل لعلها لا تريد أن يكتب من البداية أصلا، وذلك يرجع في اعتقاد المؤرخ عمار هلال، إلى أن الإمبراطورية الفرنسية الاستعمارية، لا تزال طموحاتها في الزعامة قائمة، بواسطة الفضاء الفرانكوفوني، فهل من مصلحتها أن تلطخ سمعتها بجرائمها في الجزائر؟ [58]

كما يعتقد المؤرخ عمار هلال، أن اهتمام غير الجزائريين بتاريخ الثورة الجزائرية، خاصة الفرنسيين غير ممكن الأخذ به، إذ لا يمكن أن يكون ما كتبته المجلات الفرنسية كمجلة هيستوريا (Historia)، أو مذكرات الجنرالات والسياسيين، مثل كتابات الجنرال شارل ديغول (Charles de gaulle)، والجنرال السفاح جاك ماسو (jacques Massu)، أو العقيد هنري لومير (Henri le mire)، أو حتى تصريحات جاك سوستيل (jacques Soustelle)، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الضباط والجنود شاركت ضد الثورة التحريرية؛ وأيضا النخب الثقافية والسياسية الفرنسية التي نادت بشعار الجزائر فرنسية، كونها كتابات كانت تخدم مصالحهم في الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية، إلى جانب ما كتبه المراسلون الحربيون، أو كتاب أجانب زاروا الجزائر خلال الثورة التحريرية، فهي في اعتقاد بعض الجزائريين، بأنه تاريخ كتب بإنصاف حول الجزائريين، وهذا خطأ فادح إذ أن الكتابة التاريخية لا تحركها عواطف العداوة أو المحبة، فهذه الكتابات في رأي عمار هلال، تقدم في الغالب نظرتهم لتاريخهم، والتي قُدمت إلينا كجزء أساسي من كتابة تاريخ الثورة الجزائر[59].

كما يتساءل المؤرخ عن نوعية مصادر التي ينبغي استخدامها في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، إذ أن كتابات الأجانب لا تناسب في الغالب كتابة تاريخنا الوطني بكل موضوعية، فما هي تلك المصادر أصلا؟ فقد قيل بأنها ليست الكتب أو الوثائق فقط، خاصة ما يتعلق بتاريخ الثورة التحريرية، فالكتاب والوثيقة عند عمار هلال، تعتبر شهادة من طرف واحد، يمكن استغلالها من خلال أخذ مجموعة من المعلومات المحدودة دون غيرها، وذلك يرجع إلى أن الوثيقة عندما تنتهي، لا يمكن استنطاقها، فهي لا تساعد أكثر مما تحتويه فهي دليل لأشياء معينة، وقد تكون هناك وثائق تناقضها بشكل كامل، وكذلك نفس الحال بالنسبة للكتاب، كونه محدد بسياق وبعد واحد [60].

إذن الجواب عند عمار هلال، بخصوص مصادر الثورة الجزائرية هي المصادر الحية، التي تستمد من شهادات المجاهدين، وكل فئات الشعب التي كانت شاهد عيان للثورة الجزائرية.

لأن التاريخ هو تاريخ الشعب، وليس تاريخ فئة معينة دون أخرى، ومن حقها حفظ تاريخها بنفسها، فالثورة ليست مهمة بأحداثها فحسب، وإنما هي تسجيل لكل التجارب التي عاشتها الشعوب، وكيف صنعتها الظروف التي عاشها، والتي خرجت منه تلك الطاقات الحية، التي مكنته من الالتحاق بها والتفاعل معها، والتي جعلت أكبر القادة السياسيين والعسكريين الفرنسيين ينتكسون في قمعها، حيث يقول في هذا الصدد: " **ستظل المصادر الوحيدة لتاريخ الثورة هي الينابيع الحية لهذا التاريخ وتتمثل في الشخصيات التي صنعت أحداث تاريخ الثورة والتي عايشه وقاتلت من أجله وضده، إن تاريخ الثورة هو تاريخ الشعب وليس تاريخ فئة دون أخرى من هذا الشعب، وهو فوق هذا وذلك ملك له، من حقه ان يدونه بما فيه من مظاهر القوة والضعف ومن إيجابيات وسلبيات وكل ما تصنعه الشعوب سيحفظه لها التاريخ لا محالة**"، وبالتالي يبقى على عاتق المؤرخين الجزائريين، هو إعادة صياغة الأحداث التاريخية بكل تفاصيلها الإيجابية والسلبية، وذلك لتجسيد روح الثورة، وتصبح واقعا معاشا لدى الأجيال الصاعدة، ويضيف قائلا: "**...أنتم أيها المؤرخون والكتاب، لماذا تبحثون عن تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية في خزائن باريس، أيعقل أن يكون تاريخنا المسكين هناك؟** " [61].

وكمحصلة لما سبق من سردة بخصوص معالجة أراء المؤرخ عمار هلال، حول قضية كتابة تاريخ الثورة التحريرية، يقوم على التكوين الجاد للنخبة المتخصصة في التاريخ أولا، والاعتماد على المصادر الحية في كتابته ثانيا،

كما أنه ينبغي الاعتراف أن المشكل الآخر هو عدم توفر الجدية عموما، والتي ترجع في الحقيقية إلى عدة أسباب فمنها السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والنفسية... والتي تحول دون الانطلاق الفعلي بكتابة تاريخية أكاديمية يقبلها الجميع دون استثناء.

خاتمة:

تعتبر الكتابات التّاريخية حول تاريخ الثورة التحريرية، جهد أساسي يحفظ، والذي يُعتبر كتشخيص أولي لأحداثها، يمهد الطريق للكتابة الأكاديمية في الجزائر.

-اعتبر غالبية المؤرخين الجزائريين أن كتابة التاريخ، بأنه أداة جوهرية لمواصلة المسيرة النضالية، ونشر الوعي بقيمة الثّورة والجهد المبذول لإحيائها، دون تحيز لأي جهة معينة.

-دراسة نقدية جادة لأوضاع المؤثرة على محيط كتابة تاريخ الثورة التحريرية، والتي ارتبطت بالتيارات الأيديولوجية، سواء الشرقية، أو التيارت الغربية، أو التيار الوطني، والذي يهتم بالمصادر والمعطيات المحلية.

-شرح أراء المؤرخين الجزائريين، حول أنسب الطرق الموضوعية لكتابة تاريخ الثورة التحريرية، تكون قابلة لتحقيق في الواقع.

-الدعوة إلى معالجة أكاديمية للكتابات الصادرة عن المدرسة الاستعمارية، وتوضيح خلفياتها الأيديولوجية.

وكمحصلة لما سبق ذكره، فإن معالجة قضية تاريخ الثورة التحريرية، لدى أغلب المؤرخين الجزائريين، تقوم على التكوين الجاد للنخبة المتخصصة في التاريخ، والاعتماد على كافة المصادر المتاحة في كتابته، كما أنه ينبغي الاعتراف أن هناك عدة صعوبات فمنها النفسية، والاجتماعية والثقافية، والتي تحول دون الانطلاق الفعلي بكتابة تاريخية أكاديمية، تقبلها جميع الفئات الجزائرية دون استثناء.

الهوامش:

[1]-ناصر الدين سعيدوني، نحو نظرة جديدة لتاريخنا الجزائري، مجلة الثقافة، العدد 4، نوفمبر- ديسمبر 1984، ص 74.

[2]-علاوة عمارة، ملاحظات حول تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جويلية 2011، ص 219.

[3]-الغالي غربي، رؤية منهجية لكتابة التاريخ العسكري، مجلة المصادر، العدد 3، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2000، ص ص 87-90.

[4]-جودي بكاكرية، المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري-دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، 2008-2009، ص 87.

[5]-عبد القادر بوعقادة، نحو مدرسة تاريخية وطنية مكينة، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 6، العدد 2، 2022، ص 667.

[6]-بوعزة بوضرساية، جمال قنان المؤرخ الوطني، الملتقى الوطني الأول حول المدرسة التاريخية الجزائرية، الطبعة الأولى، اتحاد المؤرخين الجزائريين، طبع وسام برس، 1998، الجزائر، ص 155.

[7]-جمال قنان، جذور ثورة نوفمبر 1954، مجلة الذاكرة، العدد 5، ربيع الثاني 1419-أوت 1998، ص ص 10-20.

[8]-جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للجيش، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994، ص ص 12-14.

[9]-المرجع نفسه، ص ص 15-17.

[10]-جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1987، ص 8.

[11]-محمد عباس، مهري-سعد الله (أصالة جزائرية)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 102.

[12]-جودي بكاكرية، المرجع السابق، ص 84.

[13]-محمد عباس، مهري-سعد الله...، المرجع السابق، ص 118.

[14]-يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962 (1-2)، طبعة خاصة، دار البصائر لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص4.

[15]-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص 236-240.

[16]-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 45.

[17]-محمد عباس، مهري-سعد الله...، المرجع السابق، ص 103.

[18]-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص 238.

[19]-محمد عباس وآخرون، مصطفى الأشرف (المسار والأعمال والمرجع) تنسيق وتقديم: عمر لرجان، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص 45.

[20]-نوارة حسين، المثقفون الجزائريون بين الاسطورة والتحول العسير سنوات من الجمر لسنوات من النار من بداية القرن العشرين لغاية الاستقلال، تقديم: محفوظ قداش، ترجمة: سعيدي فتحي، موفم للنشر-دحلب، الجزائر، 2013، ص ص 294-295.

[21]-عبد الله الركيبي، ندوة الجيش حول تاريخ الثورة، مجلة الجيش، العدد 104، نوفمبر 1972، ص 35.

[22]-موسى لقبال، ندوة الجيش حول تاريخ الثورة، مجلة الجيش، العدد 107، فيفري 1973، ص ص 25-32.

[23]-محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الطبعة الأولى، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1984، ص ص 12-18.

[24]-محمد العربي الزبيري، ندوة الجيش حول تاريخ الثورة، مجلة الجيش، العدد 107، ذو الحجة 1392، ص ص27-29.

[25]-للمزيد يرجى الاطلاع على النص الكامل لفرحات عباس، غدا سيطلع النهار، ترجمة: حسين لبراش، دار الجرائر للكتاب، الجزائر، 2012.

[26]-مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 6.

[27]-المصدر نفسه، ص 209.

[28]-بن يوسف بن خدة، الجزائر عاصمة المقاومة 1956-1957، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

[29]-Benyoucef benkhedda, abane-Ben m'hidi, leur apport à révolution algérienne, ECHATIBIA Edition et distribution, Alger, 2012, p p 47-169.

[30]-بن يوسف بن خدة، جدور أول نوفمبر 1954، ترجمة: مسعود حاج مسعود، الطبعة الثانية، دار الشاطبة، الجزائر، 2012، ص ص 45-550.

[31]-ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق مقارنات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000، ص ص 273-288.

[32]-يحي بوعزيز، الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني 1946-1962، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.

[33]-يحي بوعزيز، رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن 1-3، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

[34]-يحي بوعزيز، الولاية الثالثة، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.

[35]-يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الطبعة الثانية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 334-338.

[36]-محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، ترجمة: العربي بومنون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 8.

[37]-**محمد حربي**: مؤرخ جزائري ولد بتاريخ 16 جوان 1933 بالحروش ولاية سكيكدة (حاليا)، انضم لحزب حركة انتصار للحريات الديمقراطية، ثم عين أمينا عاما لاتحاد طلاب شمال افريقيا سنة 1954، ثم قائدا بفيدرالية جبهة التحرير بفرنسا حتى سنة 1958، كما شارك في كتابة برنامج مؤتمر طرابلس سنة 1962، ثم إدارة جريدة "الثورة الافريقية" ما بين 1963-1965، ومستشارا للرئيس أحمد بن بلة، بعد نفيه إلى فرنسا، تفرغ بعدها لتأليف في تاريخ الجزائر، ينظر: زوينة بن عمارة، قراءة في كتاب المؤرخ الجزائري محمد حربي الموسوم بـ "أرشيفات الثورة الجزائرية"-جمع وتعليق: محمد حربي، مجلة عصور الجديدة، المجلد 12، العدد 3، 2022، ص 324.

[38]-عبد الحق غالمي، حول كتاب محمد حربي سنوات المخاض الذي ينفي فيه صفة المثالية والكمال عن جبهة التحرير الوطني، مجلة الجيش، العدد 412، نوفمبر 1997، ص 21.

[40]-مسعود كواتي، قراءة في كتاب محمد حربي (حياة واقفة)، مجلة المصادر، العدد 6، مارس 2002، ص ص 455-459.

[41]-جودي بكاكرية، المرجع السابق، ص 86.

[42]-زوينة بن عمارة، المرجع السابق، ص ص 326-332.

[43]-Mohammed harbi , les archives de la révolution algérienne, Paris, édition jeune Afrique, 1981, p p 106-177.

[44]-يوسف دحماني، مصادر تأريخ الثورة التحريرية 1954-1962- دراسة ميدانية / الولاية الخامسة أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، 2020-2021، ص 38.

[45]-المرجع نفسه، ص 38.

[46]-نفسه، ص 39.

[47]-أوليفي لونغ، الملف السري-اتفاقيات ايفيان مهمة سويسرية للسلم في الجزائر، ترجمة: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 120.

[48]-فريديريك آبيكاسيس، جيلبار ميني وآخرون، من أجل تاريخ فرنسي جزائري (إنهاء ضغوطات الرسمية ولوبيهات الذاكرة)، ترجمة: خولة طالب الإبراهيمي، إيناس للنشر، الجزائر، 2011، ص 112.

[49]-فريديريك آبيكاسيس، المرجع نفسه، ص 113.

[50]-**عمار هلال:** مؤرخ جزائري من مواليد 1944/03/24، بمروانة الواقعة في تراب ولاية باتنة، والتي درس بها مرحلة الابتدائية ونال شهادة الأهلية، ثم انتقل بعدها للدراسة بالجزائر العاصمة، وتحصل على شهادة دبلوم الدراسات المعمقة سنة 1980، ثم درجة الدكتوراه الحلقة الثالثة سنة 1983 بفرنسا، ثم دكتوراه دولة في 1990، اشتغل بجامعة وهران اهتم بالدراسات التاريخية المتخصصة وعمل أستاذا مساعدا في الجامعات بوهران، كما له العديد الدراسات في تاريخ الجزائر المعاصر المنشورة غالبا في مجلتي الثقافة والأصالة الجزائريتين، توفي المؤرخ عمار هلال في شهر أوت 1995، ينظر: حميد قريتلي، قراءة في الكتابات التاريخية للمؤرخ "عمار هلال"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 24، العدد 1، 2022، ص ص 321-322.

[51]-حسان مغدوري، الكتابة التاريخية عند هلال عمار "دراسة تحليلية نقدية"، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2007-2008، ص 27.

[52]-حسان مغدوري، المرجع السابق، ص ص 25-42.

[53]-عمار هلال، معضلة كتابة تاريخ ثورة التحرير.. (التاريخ مناهج ووظائف)، مجلة أول نوفمبر، العددان 151-152، 1997، ص 28.

[54]-حسان مغدوري، المرجع السابق، ص 50.

[55]-عمار هلال، المرجع السابق، ص 28.

[56]-عمار هلال، معضلة كتابة تاريخ ...، المرجع السابق، ص 29.

[57]-حسان مغدوري، المرجع السابق، ص 38.

[58]-عمار هلال، المرجع السابق، ص 29.

[59]-حسان مغدوري، المرجع السابق، ص 55.

[60]-المرجع نفسه، ص 40.

[61]-عمار هلال، المرجع السابق، ص 31.